عرفت هؤلاء

بقلم :
انور السادات

والخطأ الاساسى الذى وقع فيه شاه ايران ، أنه ألغى نظام تعدد الأحزاب وطبق نظام الحزب الواحد .. وهذا القرار معناه الوقوف ضد حركة التاريخ ، التى تسمح بالانتقال من نظام الحزب الواحد الى نظام تعدد الأحزاب .. ولكنها لا تسمح بالعكس .. لأن تعدد الأحزاب خطوة الى الأمام ، أما الحزب الواحد فخطوة الى الوراء .. وعندما ارتكب الشاه هذا الخطأ تكتلت ضده كل القوى ..

وجاء الشاه إلى أسوان ..

فى يناير ١٩٧٩ استقبلت محمد رضا بهلوى شاه ايران فى مطار اسوان .. ولكن الشاه الذى قابلته فى يناير ٧٩ كان غير الشاه الذى استقبلته فى يناير ٧٨ .. منذ عام واحد فقط .

فى عام ٧٨ زارنى الشاه زيارة خاطفة فى اسوان ليعلن تأييده غير المحدود لمبادرة السلام .. وليقول للعرب جميعا : ماذا تنتظرون حتى تعلنوا تأييدكم للمبادرة .

اما فى عام ٧٩ فقد جاء الشاه لاذا بمصر مصر الحنون ، بعد ان اصبح وضعه غير مستقر فى ايران .

فخلال عام واحد .. جرت مياه كثيرة تحت الجسور الايرانية .. وشهد الشاه شهورا صعبة بكل المقاييس .

عندما عاد الشاه الى طهران فى يناير ٧٨ بعد زيارة اسوان الخاطفة ـ كانت تنتظره خطة مضادة يحركها اليسار الايرانى .. وأى خبير بالف باء السياسة يكتشف منذ الوهلة الاولى ان اليسار هو الذى كان يحرك ويقود الاحداث ضد الشاه .

لقد قرر اليسار الايرانى ان يخوض معركة ضد الشاه فى الشارع الايرانى .. وهذا هو تكتيك اليسار المعروف والمحفوظ .. وبدأ هذا التكتيك بتنظيم مظاهرة يحدث فيها صدام بين المتظاهرين ورجال الامن .. ويتطور الصدام الى تبادل لاطلاق النار وسقوط ضحايا من بين المتظاهرين ..

ويستمر التكتيك اليسارى بمنتهى الدقة .. تشيع جنازة ضحايا المظاهرة .. ويحدث صدام آخر بين الشيعيين ورجال الأمن .. ويسقط ضحايا جدد .. وفى ذكرى الاربعين لهؤلاء الضحايا تشتعل مظاهرة جديدة .. وتستمر هذه الحلقة الجهنمية من المظاهرات والصدامات والضحايا .. والمهم ـ من جهة اليسار الذى يحرك كل ذلك ـ ان يظل الموقف مشتعلا بين الشاه والشارع الايرانى .

وكان الهدف من هذا التكتيك هو الضغط على الشاه وابتزازه .. ولما بدأ الشاه عندما حاول بعض الطلبة من اعضاء الجماعات الاسلامية الضغط على عميد كلية العلوم باساليب غير مشروعة ... الحقيقة انا جسمى اقشعر عندما استمعت الى هذه القصة والعميد يرويها بنفسه فى التليفزيون .. وقد سألت محافظ الاسكندرية بعد سماع هذه القصة بأيام قائلا : ماذا حدث مع عميد كلية العلوم .. ولماذا لم تتدخل وأنت تملك سلطات رئيس الجمهورية لتصفية هذا الموقف ؟!

والحقيقة اننى لو سمعت هذه القصة التى اقشعر لها بدنى ـ فى حينها لكان لى تصرف آخر .

واعود مرة اخرى الى شاه ايران الذى تعرض خلال عام ٧٨ باكمله لتكتيك خبيث هو محاولة احراجه والضغط عليه عن طريق مظاهرات الشوارع .. وبقاء الموقف مشتعلا باستمرار .

وأرجو الايؤخذ كلامى على انه تأييد للشاه ضد ثورة شعبه .. فهذه قضية داخلية لاتهم الا الشعب الايرانى ولاأريد ان اتدخل فيها .. وأنا لست ضد ثورة اى شعب لاننى سبق ان قمت بثورتى .. وكنت مستعدا لتكرارها فى ٥ سبتمبر اذا اقتضى الامر .. ولكن الامور لم تصل بنا الى هذا الحد .

كل ماأريد ان اوضحه ـ دون تدخل فى شئون الشعب الايرانى ـ ان اليسار هو الذى حرك احداث الشارع فى ايران .. ودفع الامور هناك الى اقصى درجات التأزم .. وظل مستمرا فى هذا التكتيك من فبراير ٧٨ وحتى يناير ٧٩ .. وكانت النتيجة هى خروج الشاه من ايران فى يناير لكى يلوذ بصدر مصر الحنون ..

وعندما وصل الشاه الى اسوان ـ هو وزوجته الامبراطورة فرح ـ كان فى حالة لايحسد عليها .. وتركت الامبراطور والامبراطورة ليستريحا فى الفندق .. وذهبنا فى اليوم التالى أنا وجيهان لنزورهما .. ووجدنا الامبراطوره مازالت نائمة من الامس .. وظلت نائمة حتى العصر .. واعتذر لنا الشاه قائلا : إننا لم ننم نوما طبيعيا منذ عام كامل !!

لقد عاش الشاه طوال هذا العام تحت ضغط وابتزاز اليسار الذى حرك ضده الشارع فى مظاهرات متواصلة لاتنقطع .. مرة مظاهرات طلبة .. ومرة مظاهرات نساء .. ومره مظاهرات أطفال .. وطبعا لم يكن يستطيع ضرب الاطفال .

والخطأ الذى ارتكبه الشاه انه بدأ يتراجع ويقدم تنازلات لليسار .. ومن بين هذه التنازلات مثلا انهم اجبروه على الغاء تقويم «النيروز » وهو تقويم ايرانى قديم وتطبيق التقويم الهجرى

ولكن الخطأ الاساسى الذى وقع فيه الشاه انه ألغى نظام تعدد الاحزاب ـ قبل سنة من هذه الاحداث ـ وطبق نظام الحزب الواحد .. وهذا القرار معناه الوقوف ضد حركة التاريخ .. وحركة التاريخ لايمكن ان تتوقف أبدا .. واذا وقفت ضدها فلابد ان تقف ضدك !!

ان حركة التاريخ تسمح بالانتقال من نظام الحزب الواحد الى نظام تعدد الاحزاب .. ولكنها لاتسمح ابدا بالانتقال من تعدد الاحزاب الى الحزب الواحد .. لان تعدد الاحزاب خطوة الى الامام .. اما الحزب الواحد فخطوة الى الوراء .

وعندما ارتكب الشاه هذا الخطأ ووقف ضد حركة التاريخ تكتلت ضده كل القوى .. وقام حلف ضد الشاه يضم المشايخ والاحزاب القديمة واليسار وهم المحرك الاساسى لهذا الحلف .

لقد كان من الممكن العودة الى نظام الحزب الواحد فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .. كان ذلك ممكنا ايام اتاتورك وهتلر وموسوليني أما فى هذه الايام فالعودة الى نظام الحزب الواحد خطأ قاتل .

وكان هذا الخطأ هو السبب فى تكتل كل القوى السياسية المتناقضة ضد الشاه .. ونتيجة لهذا الخطأ وقف سياسيون قدامى مثل بازرجان .. وسياسيون من جيل أحدث مثل بنى صدر .. ورجال الدين .. واليساريون .. وجماعة مجاهدى خلق .. وقف كل هؤلاء فى معسكر واحد .. هدفه الوحيد اسقاط نظام الشاه .

وعندما جاء الشاه الى اسوان .. احسست انه لن يعود مرة أخرى الى ايران .. كانت حاستى السياسية تؤكد ذلك .. وعندما استقبلته امام سلم الطائرة قلت له : اطمئن ياأمحمد .. انت فى بلدك بين اهلك واخوتك .. ولكنه كان فى شبه ذهول وعيناه مغرورقتان بالدموع .. وفى الطريق الى الفندق حكى لى وهو يبكى قصة وداع الجنود له فى مطار طهران .. وكيف امسك به احد الجنود قائلا : لاتتركنا .. ان ايران ستضيع بدونك .. ان المستقبل مظلم .

وقال لى الشاه وهو يغالب دموعه انه يحس بأنه قائد ترك الميدان او هرب من المعركة .. ولكنه كان مضطرا الى ترك طهران لان الامريكيين مارسوا عليه ضغوطا شديدة .. وأخذ يروى لى كيف حضر اليه السفير الامريكى قبل مغادرته طهران .. وأخذ يستعجله وينظر فى ساعته قائلا : ان كل دقيقة تتأخرها فى السفر ليست فى مصلحتك ولا فى مصلحة ايران .. يجب ان تعجل بمغادرة البلاد فورا !!

وسر هذا الموقف الامريكى ان كارتر كان يتمسك بمبدأ حقوق الانسان .. وكان يعتبر بقاء الشاه فى ايران ضد الارادة الشعبية الايرانية .. وضد حقوق الانسان الايرانى

وفى المؤتمر الذى عقده اقطاب الغرب الاربعة ـ كارتر ، شميت ، ديستان كالاهان ، اتخذوا موقفا بالاجماع ضد الشاه .

وكان هذا الموقف معناه خروج الشاه من ايران ودخول الخومينى .. ولم يدرك قادة الغرب انهم بهذا قد ادخلوا « قنبلة موقوتة » داخل ايران .. لم يدركوا ذلك الا بعد ان انفجرت هذه القنبلة .. وملأت شظاياها كل انحاء ايران .

أنور السادات

هذه آخر حلقة كتبها الزعيم الراحل انور السادات من سلسلة عرفت هؤلاء